برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (8)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (5)
شاشة العترة – القسم (1)
الجمعة : 9 شهر رمضان 1439 – الموافق: 2018/5/25

✤ هذه هي الحلقةُ الثامنة مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] ولازالَ الحديثُ تحتَ هذا العنوان: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين"). ومِثلما قدّمتُ في الحَلَقات المُتقدّمة مِن أنّني سأتّبع نَمَط الشاشات المُتعدّدة في هذهِ الحلقات أعني في الحلقاتِ المُختصّةِ بهذا الموضوع (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين").
في الحلقات المُتقدّمة فتحتُ الشاشةَ الأولى والتي عنونتُها بـ(شاشة القرآن).

✪ **الشاشةُ الثانية.. عنوانها: شاشةُ العِترة.**
في هذهِ الشاشة هُناك أكثر مِن صُورة.. سأتناولُ الصُورة الأولى: ما تُعرَف بأحاديثِ الأئمة الإثني عَشَر في أجواء ثقافتنا الشيعيّة.
لا أُريدُ الحديثَ عن أحاديث الأئمة الإثني عشر في كُتب المُخالفين..
هذا عنوانٌ تُعُورِفَ عليه، لأنّ هذهِ الأحاديث في الأعمّ الأغلب تَتناول ذِكْر الأئمة الإثني عشر.. وإنْ كانت بعضُ الأحاديث قد تشتملُ على ذِكر المعصومين الأربعة عَشَر.. ولكن صار هذا العنوان عنواناً معروفاً في الثقافة الشيعيّة (أحاديثُ الأئمة الإثني عَشَر) والمُراد منها: الأحاديثُ التي نصّتْ على إمامتهم.. إمّا بنحوٍ مُجمَل ، وإمّا بالتفاصيل: تارةً بنحو الإيجاز، وأُخرى بنحو التطويل. (ذكْرٌ للأسماء تارةً، وذكْرٌ للأسماء والأوصاف والخُصوصيّات تارةً أُخرى)
عِلْماً أنّ المَقام لا يَسَعُ للتفصيل في كُلّ صغيرةٍ وكبيرة.. إنّما أتناول هذا الموضوع بنحوٍ إجمالي وأُحاول أن أضع بين أيديكم صُورةً عن أحاديثِ الأئمة الإثني عَشَر، عن تأريخها، عن مَصادرها، وعن مضمونها بنحوٍ إجمالي.

● في هذه الشاشةِ - وهي الشاشة الثانية - سأعرض صوراً مُهمّة جدّاً.. هي الأُخرى بمجموعها تُشكّل حقيقةً ومضموناً صريحاً سيتّضحُ لكم حينما تكتملُ هذه الصُور
وحينما يتمّ الحديث في كُلّ مضامين هذهِ الشاشة التي فتحتها بين أيديكم.

❖ **الصورةُ (1): تتناول أحاديث عن الأئمة الإثني عَشَر.**
من بديهياتِ ثقافتنا الشيعيّة ومِن أبجدياتِ فِكرنا الشيعي أحاديثُ الأئمةِ الإثني عشر "صلواتُ الله عليهم أجمعين"

● وقفة عند كتاب [سليم بن قيس الهلالي] وهو أقدمُ كتابٍ مِن كُتبنا الأصليّة.. كتابُ سُليم وإن تعرّض للتحريف وتعرّض للهجوم عليه مِن قِبَل عُلمائنا ومَراجعنا، فكتابُ سُليم أصلٌ عظيمٌ مِن أصولنا العَقائديّة.. ولو أنّ الشيعة فعلاً في زماننا هذا تأخذُ عقيدتها من هذا الكتاب لا مِن ترهّات كتب عِلْم الكلام التي كَتَبها عُلماؤنا ومراجعنا.. لَتغيّرتْ الكثيرُ مِن الأمور نحو الأحسن.. لا كما هو الحال، فإنّ الواقع الشيعي يَسيرُ مِن السيّئ إلى الأسوأ.. وأهمُّ سببٍ في ذلك هو الاستخذاء العقائدي.
وحينما أتحدّثُ عن الاستخذاء العقائدي إنّني أتحدّثُ عن نُكوص الفِكْر الصحيح.. وإنّما نَكَص الفِكرُ الصحيح في الواقع الشيعي وغاب بسبب ما جرّهُ مراجعنا الكِبار مِن فِكْرٍ ناصبيٍّ فرضوه في ساحة الثقافة الشيعيّة.

● كتاب [سليم بن قيس الهلالي] هو أبجدُ الشيعة كما جاء في كلماتِ المعصومين "صلواتُ الله عليهم".
هذا الكتاب ذمّه مراجعنا.. المراجع المُعاصرون (مدرسةُ السيّد الخوئي وتلامذةُ السيّد الخوئي) وحَتّى البقيّةُ الباقية مِن الاتّجاهات الأخرى يُضعّفون هذا الكتاب.. ولا شأن لي بتضعيفهم، ولا أشتري تضعيفهم بفلسٍ ممسوح - على الأقل بالنسبةِ لي - لأنّني أُؤمنُ أنّ الأصلَ في حديثِ أهل البيت المَوجودِ في الكُتب - وخُصوصاً في كُتبنا القديمة - الأصلُ هو الصِحّة إلى أن يثبت خِلاف ذلك، وهو قليلٌ جدّاً.. والأصلُ في آراء مَراجعنا وعُلمائنا هو عدم الصحّة حتّى تثبُتَ صِحّةُ أقوالهم وآرائهم. (وإذا أردنا أن نأخذ الأمر بمقاييس أهل البيت فهي قليلةٌ بهذا الوصف). نعم بمقاييس الشافعي والأشعري والمُعتزلي والصُوفي والقُطبي فإنّ أكثر آراء مراجعنا وعلمائنا صحيحة وصائبة، لأنّها تأتي وِفقاً لِمَذاق هذه الأسماء التي أشرتُ إليها.
أمّا إذا عرضنا آراءهم وفقاً لِمَذاق معارف الكتاب والعترة فإنّ الأعمّ الأغلب من هذه الآراء يأتي مُخالفاً لِذوق الكتاب والعِترة بالمَذاق العَلَوي.

● مِن الذين هاجموا هذا الكتاب الشريف كتاب سُليم هو: الشيخ المُفيد.
والشيخ المُفيد في بداياتهِ كان مُتأثّراً بالمُعتزلةِ تأثّراً كبيراً.. فَمُنذُ نُعومةِ أظفارهِ نشأ في الوسط المُخالف لأهل البيت.
المديحُ الذي وَصَل مِن إمام زماننا في شأن الشيخ المُفيد كان في آخر سِنّي عُمره.. في السنوات الأخيرة بالضبط.. فأوّل رسالةٍ وصلتْ إليهِ مِن الإمام الحُجّة كانتْ قَبل وفاتهِ بثلاث سنوات.. وبعد ذلك جاءتهُ رسالةٌ أُخرى.

فقَبل وفاتهِ بمُدّةٍ يسيرةٍ جدّاً جاء المَدَحُ مِن إمام زماننا.. وإلّا فإنّنا إذا رجعنا إلى بداياتهِ الأولى سنجد التأثّر بِفكر المُعتزلةِ واضحٌ جدّاً عند الشيخ المُفيد.

● وقفة عند كتاب [تصحيح الإعتقاد] للشيخ المُفيد.. أو ما يُسمّى بـ[عقائد الشيعة] وهذا الكتاب هو انتقادٌ وردٌّ مِن الشيخ المُفيد لشيخهِ الشيخ الصدوق في باب الاعتقادات.. وهو مِن أهمّ كُتب شيخنا المُفيد.. في هذا الكتاب انتقدَ الشيخ المُفيد كتابَ سُليم بن قيس انتقاداً شديداً.

في الفصل الذي عنوانه (في الأحاديث المُختلفة) يقول الشيخ المُفيد:

(وأمّا ما تعلّق بهِ أبو جعفر - يعني الشيخ الصدوق - مِن حديث سُليم الذي رَجَع فيه إلى الكتاب المُضاف إليه - أي كتاب سُليم بن قيس - بروايةِ أبان بن أبي عياش فالمَعنى فيه صحيح، غيرَ أنَّ هذا الكتاب غيرُ موثوقٍ به، ولا يجوزُ العمل على أكثرِه، وقد حصل فيهِ تخليطٌ وتدليس، فينبغي للمُتديّن أن يجتنبَ العمل بكلّ ما فيه، ولا يُعوّل على جُملته والتقليد لروايته وليفزعْ إلى العُلماء فيما تضمّنهُ مِن الأحاديث لِيُوقِفوه على الصحيح منها والفاسد)!

وأقول: إذا فزعَ إلى العُلماء والعُلماء يتعاملون مع الأحاديث بطريقة البخاري والشافعي، فماذا سيبقون مِن حديث أهل البيت؟!

ولذلك هكذا تعاملوا مع كتاب سُليم ومع سائر كُتب حديث أهل البيت "صلواتُ الله عليهم".

• بالنسبة لي: هذا الكلام الذي ذكرهُ الشيخ المُفيد عن كتاب سُليم بن قيس لا قيمة له أصلاً عندي.. ففي نفس هذا الكتاب الشيخ المُفيد في الفصْل الذي عَنونهُ: في العِصمة.. يقولُ الشيخ المُفيد عن عقيدتهِ في عِصمةِ مُحمّدٍ وآل مُحمّد بعد أن تحدّث ما تحدّث مِن كلام وذكر أنّ عقول أهل البيت لن تكتمل إلّا بعد بعثتهم وإمامتهم.. يقول:

(**والوجه: أن نقطع على كمالهم "عليهم السلام" في العلم والعصمة في أحوال النبوّة والإمامة، ونتوقّف فيما قبل ذلك** - أي فيما قبل البعثة، وقبل الإمامة الفعلية - **وهل كانت أحوال نبوّة وإمامة أم لا، ونقطع على أنّ العصمة لازمة منذ أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم** - عليهم السلام -)
فالنبيُّ في رأي الشيخ المُفيد عَقلهُ لم يكنْ كاملاً قَبل البعثة، وكذلكَ سيّدُ الأوصياء "صلواتُ الله وسلامهُ عليه" عَقلهُ لم يكنْ كاملاً في زَمان رسولِ الله، وإنّما اكتمل حينما ابتدأتْ إمامتهُ الفِعليّة في زمان رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله"..!!
وهذهِ آراءٌ تفوحُ منها رائحةُ المُعتزلة بشكلٍ واضح جدّاً.
الذي يتفوّهُ بِمثل هذا الكلام في عقيدةٍ هي الأساسُ في ديننا وهي "العِصمة".. فهناك خللٌ عقائديٌّ عند الشيخ المُفيد في هذه المسألةِ المُهمّة.. فكيف أثِقُ بِقولهِ وتقييمهِ لكتاب سُليم بن قيس؟!
هُناك خللٌ عقليٌّ واضح في مُستوى التفكير العقائدي عند الشيخ المُفيد.. وإنّني لا أحترمُ قولهُ فيما قاله عن كتاب [سُليم بن قيس] وأُلقي بهِ في سلّة المُهملات، مثلما أُلقي بقوله هذا في سلّة المُهملات وهو يتحدّث عن عِصمةِ مُحمّدٍ وآل مُحمّد بهذه الطريقة السخيفة.
فكما قُلت: الشيخ المُفيد كان مُخترقاً بالفِكر المُعتزلي.. ولكنّ المديح الذي وصل إليه في آخر سِنّي عُمره من الإمام الحُجّة يُنبئُنا أنّ الشيخ المُفيد قد تغيّرتْ آراؤه وأفكارهُ ولكن للأسف لم تصِل إلينا كُتبٌ تتحدّث عن آرائه في آخر أيّامه.
ما عندنا مِن كُتُبٍ للشيخ المُفيد هي مُخترقةٌ بالفِكر الناصبي وبالفكر الاعتزالي على وجه التحديد، ومن هذا كلامهُ في عِصمةِ مُحمّدٍ وآل مُحمّد.
فَمَن كان هذا حالهُ لا أُبالي بآرائه ولا بأقوالهِ إن كان شكّك في كتاب سُليم أو غير كتاب سُليم.
هذا هُو المنطق الواضح السليم، مَنطقُ العَقل ومَنطق العَقيدةِ الواضحة التي لا مُجاملةَ فيها.. فنَحنُ لا نُجامِل لا على المُستوى العِلمي ولا على أيّ مُستوىً آخر مِن المُستويات الثقافيّة والفِكريّة في جنبِ آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".. ومِن هنا فإنّ هذا الهُراء أُلقي بِه في سلّة المُهملات.

● وقفة عند ما يقولُه الشيخ النُعماني في كتابه [الغَيبة] في صفحة 103 يقول وهو يتحدّث عن كتاب سُليم بن قيس:
(وليس بين جميع الشيعة مِمّن حَمَل العِلْم ورواهُ عن الأئمة خلافٌ في أنّ كتاب سُليم بن قيس الهلالي أصلٌ مِن أكبر كُتب الأصول الّتي رواها أهل العلم مِن حَمَلة حديث أهل البيت وأقدمها؛ لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول اللّه وأمير المؤمنين، والمقداد، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، ومن جرى مجراهم، ممّن شهد رسول وأمير المؤمنين وسمع منهما، وهو من الأصول الّتي ترجعُ الشيعة إليها وتعوّل عليها..)

يتحدّث الشيخ النُعماني هنا عن حَمَلةِ الحديث وهُو مِن أكثر الناس خِبرةً بحديث أهل البيت.. فالشيخُ النُعماني هو مِن تلامذةِ الشيخ الكُليني، وكان شريكاً لهُ ومُعيناً ومُساعداً في جمع أحاديث الكافي الشريف. علماً أنّني هُنا لا أُريدُ أن أعتمدَ على كلام الشيخ النُعماني في تَوثيق كتاب سُليم بن قيس.. مع أنّني أقبلُ كلامَهُ جُملةً وتفصيلاً، ولكنّني لا أوثّقُ حديثَ أهل البيتِ بالرجال.
فمِثلما الشيخ المُفيد قال ما قال وألقيتُ قولَهُ في سلّةِ المُهملات، فالشيخ النُعماني أيضاً رجلٌ قال ما قال وأنا أتّفِقُ معهُ، ولكنّني لا أعبأُ بقوله.
وإنّما أردتُ أن أقول لكم: أنّ النُعماني الذي هو أكثرُ خِبرةً بِحديث أهل البيت من الشيخ المُفيد، وكان مُعاصراً للكليني، وكان يعيشُ في عصْر النصّ الذي انتهى سنة 329هـ بموت السَمَري والشيخ النعماني توفي سنة 360.. فالشيخ النعماني كان موجوداً في زمن الغَيبة الصُغرى، وكان مُعاصِراً ومُرافقاً للشيخ الكُليني الذي تُوفّي قبل وفاة السَمَري بسنة.. فالكُليني توفي سنة 328هـ. فالشيخ النعماني كان مُرافقاً للشيخ الكُليني وكان تلميذاً له.
وأدلُّ دليلٍ على خِبرة الشيخ النعماني بحديث أهل البيت هو كتابهُ [الغَيبة] فهو أفضلُ كتابٍ كُتِبَ في بابه، وما بقي من تفسير النعماني، فهو يدلُّ على خِبرةٍ عالية في حديث أهل البيت أعلى شأناً وأفضل بكثير ممّا عليه الشيخ المُفيد.. وهذا يبدو مِن المُقايسة بين كُتبهم التي جمعوا فيها حديث أهل البيت (طريقة الجمع، اختيار الأحاديث) هذه القضيّة واضحة لِمَن كانت لهُ خِبرة ولِمَن كان قادراً على المُقارنة بين كُتب الشيخ النُعماني وكُتب الشيخ المُفيد التي كَتَبها وجَمَع فيها حديث أهل البيت.
فأنا أوردتُ لكم كلام الشيخ النُعماني - الذي هُو أكثرُ خِبرةً مِن الشيخ المُفيد - لأقول لكم: كما أنّ هناك مَن يقدحُ في كتاب سُليم، فهناك مَن يمدحهُ أعلى المدح.
ورُغم ذلك أعيد وأُكّرر:
أنّي لا أعبأُ برأي الشيخ النُعماني وإنْ كُنتُ أتّفقُ معهُ فيما يقول؛ لأنّ موازيين التقييم عند أهل البيت ليستْ هي في الرجوع إلى أقوال الرجال.. (فَمَن دخل في هذا الدين بالرجال أخرجهُ مِنهُ الرجال، ومَن دَخَل فيه بالكتاب والسُنّة - التي هي حديثُ محمّد وآل محمّد - زالتْ الجبال ولم يزول)
مَوازينُ التقييم عند أهل البيت هي في مُوافقة القرآن وفي مُوافقة أُصول حديثهم "صلواتُ الله عليهم".. ولا نُبالي بالناقل أكان ثِقةً أم لم يكن.. ولا نُبالي بالقادح إن كان المُفيد أم كان غير المُفيد.. ولا نُبالي بالمادح إنْ كان النُعماني أو الكليني أو غير هؤلاء.. وإنّما قد يكونُ على سبيل التوضيح فقط أن نذكر أقوالهم، وقد يكون لأجل حشد القرآئن لتوضيح المطلب نستعينُ بأقوالهم.
● كتاب سُليم بن قيس كتابٌ قديم، وقد كَتَبهُ سُليم أيّام شبابه، كُتِب أيّام خلافة السقيفة.. وأخَذَ الأحاديثَ عن أمير المؤمنين أو عن خَواصّ أمير المؤمنين: أمثال سلمان، والمِقداد وأبي ذر.. فهو أقدمُ كتابٍ جُمعتْ فيه أحاديثُ نبيّنا وأميرنا سيّد الأوصياء بين أيدينا.
• في الجزء الثاني مِن كتاب سُليم صفحة 559:
(قال أبان: فحَجَجتُ مِن عامي ذلك، فدخلتُ على عليّ بن الحُسين "عليه السلام"، وعندهُ أبو الطفيل عامرُ بن واثلة الكِناني صاحبُ رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله" وكان مِن خيار أصحاب عليٍّ "عليه السلام"، ولَقِيتُ عندهُ عُمَر بن أبي سلمة، ابنُ أمّ سلمة زوجةُ النبيّ "صلّى اللهُ عليه وآله"، فعَرضتهُ عليه وعلى أبي الطفيل وعلى عليّ بن الحسين "عليه السلام" ذلك أجمع ثلاثةَ أيام كلّ يوم إلى اللّيل ويغدو عليه عُمَر - عُمَر بن أمّ سلمة - **وعامر فقرءاهُ عليه** - يعني عُمَر وعامر قرءا الكتاب، كتاب سُليم بن قيس على الإمام السجاد - **فقرءاهُ عليه ثلاثة أيام، فقال عليه السلام لي: صَدَق سُليم رحمهُ الله هذا حديثنا كلّه نَعرفه..)**
هذا تقييم إمامنا السجّاد.. فما أبالي بتقييم الشيخ المُفيد أو بتقييم الشيخ النُعماني سَلْباً أو إيجاباً.
وإنّما أقبلُ كلام الشيخ النُعماني لأنّه جاء مُوافقاً لكلام إمامِنا السجّاد.. لا أنّنا نُوثّق كلام إمامنا السجّاد بهُراء العلماء أكان كلامهم صحيحاً أم لم يكن كذلك.
• رواية أُخرى في توثيق كتاب سُليم عن إمامنا الصادق، وهي روايةٌ معروفةٌ بين أهل الحديث.. يقول الإمام الصادق "عليه السلام":
(مَن لم يكنْ عندهُ مِن شيعتنا ومُحبّينا كتابُ سُليم بن قيسٍ الهلالي فليسَ عنده مِن أمرنا شيء، ولا يعلمُ مِن أسبابنا شيئاً، وهُو أبجدُ الشيعة، وهو سرٌّ من أسرار آل محمّد عليهم السلام)
هذه المضامين الموجودة في كلمات صادق العِترة تتجلّى واضحةً لِمَن كانت لَهُ أدنى مُسكة بِمعارف الكتاب والعِترة وراجع كتاب سُليم بن قيس الهلالي.. مع أنّ الكتاب تعرّض للتحريف، ولكن الكتاب لازال مُحتفِظاً برونقهِ، ولازالتْ أصالةُ عليّ تتجلّى بين جَنَبات هذا الكتاب.. ولتذهب أقوالُ المَراجع الذين يُضعّفون هذا الكتاب إلى الجَحيم.. هذا هو أبجدُ الشيعة كما يقول الصادقُ المُصدّق.
وقد وعدتكم في برنامج [الخاتمة] وهو الجزء الرابع مِن ملفّ الكتاب والعِترة أنّ الموضوع الرئيس في هذا البرنامج هو كتابُ سليم بن قيس، وكذلك تفسير الإمام العسكري.
لو أنّ الشيعة تأخذُ عقيدتها وثقافتها مِن هذين الكتابين (كتاب سُليم بن قيس، تفسير الإمام العسكري) ممّا بقي منهما.. لو أنّ الشيعة تبني أُصول عقيدتها وتبني أُسس ثقافتها على ما في هذين الكتابين لَتَغيَّر الواقعُ الشيعي نَحو الأفضل بشيءٍ كثير جدّاً.. ولكن يا للأسف.. فإنَّ هذين الكتابين مِن أكثر الكُتبِ التي تَعرّضتْ للحرب وللطعن وللطمس مِن قِبَل كبار مراجع الشيعة مِن الأموات ومن الأحياء المُعاصرين.

هذا هو جزاء حديثِ آل مُحمّد مِن علمائنا ومَراجعنا..!!
لو أنّ كتاب سُليم بن قيس يُلَخّصُ ويُعرَضُ بطريقةٍ مُعاصرة كي يكون أساساً للعقيدة الشيعيّة، فواللهِ إنّ الشيعةَ سيكونون في أقربِ ما يكونونَ عليه في الوجهة العقائديّة والثقافيّة مِن إمام زماننا الحجّة بن الحسن "صلواتُ الله عليه".
• كتاب سُليم هو أبجدُ الشيعة وهو حديثٌ عليّ في أحلكِ الظروف، في أيّام خِلافةِ السقيفة.. أيّام خِلافة قَتَلة الزهراء "صلواتُ الله وسلامه عليها".. وسَنجد أنّ سُليماً يُحدّثنا عن أمير المؤمنين وهو يُحدّث سُليماً ويُحدّث خواصّ أصحابهِ والدموع تَجري على خدّيهِ حِين يُحدّثهم عن قُنفذ وماذا فعل مع فاطمة..!
حديثُ عليّ وهو يُحدّثُهم عن أنّ عُمَر بن الخطّاب حينما بَعَث على وُلاتهِ وعُمّالهِ وناصَفَهُم في أموالهم لم يفعل مع قُنفذ ذلك، مع أنّه كان مِن ولاتهِ وعُمّالهِ وقد كَسَب مالاً كثيراً.. ولكن الأمير يقول:
لم يفعل مع قُنفذ رَغم أنّه فعل الأمر مع كُلّ الولاة والعُمّال؛ لأنّه أراد أن يُجازيهِ لِضربه فاطمة "صلوات الله عليها"..!
• هذا الكتاب [كتاب سُليم بن قيس] إذا أردنا أن نُدقّق النظر فيه فإنّ أهمّ موضوعٍ فيهِ هُو موضوع الأئمة الإثني عشر.. إجمالاً وتفصيلاً.. جوهر هذا الكتاب يعتمدُ على أحاديثُ الأئمة الإثني عَشَر.. هذا هو أقدمُ كتابٍ عندنا.. هذا هو أبجدُ الشيعةِ فعلاً.. مع أنّ الكتاب تعرّض للتحريف وتعرّض لحربٍ طويلة مِن قِبَل مَراجع الشيعة وكِبار العلماء في الوسط الشيعي وإلى هذه اللّحظة..! المراجع الذين يُشكّكون في هذا الكتاب مَراجع خائبون.. أُعميتْ بصائرهم بسبب الفِكْر الناصبي.. مراجع فقدوا حظّهم وساءتْ عقائدهم، وخابتْ ظُنونهم وخابَ مَسعاهم ولِذلك ضعّفوا هذا الكتاب. من أهمّ المطالب الأصول والأسس في هذا الكتاب هو حديث الأئمة الإثني عشر.. وهذا الكتاب يُوجّه صفعةً على وجوه أولئك الذين يقولونَ أنّ أحاديثَ الأئمة الإثني عشر نشأتْ في القرن الثالث والرابع الهجري.

● **مرور سريع على هذا الكتاب.. سأقرأ لكم أوّلَ حديثٍ من أحاديث الأئمة الإثني عَشَر، ثُمّ أُشير إلى مواطن هذه الأحاديث وأقرأ آخر حديثٍ جاء في هذا الكتاب.**

• في صفحة 616.. في الحديث 8 مِن أحاديث سُليم بن قيس.. يقول سيّد الأوصياء للسائل الذي سأله:
(وأدنى ما يكونُ به - الإنسانُ - ضَالّاً أن لا يَعرفَ حُجَّةَ الله في أرضهِ وشاهدهُ على خَلْقهِ الذي أمَرَ اللهُ بطاعتهِ وفَرْضَ ولايته. فقال: يا أميرَ المؤمنين، سمّهم لي. قال: الذين قَرَنهم اللهُ بنفسهِ ونبيّه فقال: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم}. قال: أوضحهم لي. قال: الذين قال رسولُ الله "صلّى اللهُ عليهِ وآله" في آخر خُطبةٍ خَطَبها ثمّ قُبِض مِن يومه:
"إنّي قد تَركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتابَ اللهِ وأهل بيتي، فإنَّ اللّطيف الخبيرَ قد عَهِدَ إلي أنَّهُما لن يفترقا حتّى يَرِدا عليَّ الحَوض كهاتين - وأشارَ بإصبعيهِ المُسبّحتين - ولا أقول كهاتين - وأشارَ بالمُسبّحة والوسطى - لأنَّ إحداهما قُدّام الأخرى. فتمسّكوا بهما لا تَضّلوا، ولا تَقدِموهم فتهلكوا، ولا تَخلّفوا عنهم فتفرّقوا، ولا تُعلّموهم فإنّهم أعلم منكم".
قال: يا أمير المؤمنين، سمِّهِ لي. قال: الذي نَصَبهُ رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله" بغدير خم، فأخبرهم أنَّه أولى بهم مِن أنفسهم. ثمَّ أَمَرهم أن يُعْلِم الشاهدُ الغائبَ منهم. فقلتُ: أنتَ هُو يا أمير المؤمنين؟ قال: أنا أوّلهم وأفضلُهم، ثمَّ ابني الحسن مِن بعدي أولى بالمُؤمنين مِن أنفسهم. ثمَّ ابني الحُسين مِن بَعدهِ أولى بالمُؤمنين مِن أنفسهم. ثمَّ أوصياءُ رسول اللهِ "صلّى اللهُ عليهِ وآله" حَتّى يَرِدُوا عليه حَوضَهُ واحداً بعد واحد...)

★ (وقفة أشير فيها لأرقام الصفحات التي وردتْ فيها أحاديثُ الأئمة الإثني عشر مِن كتاب سُليم بن قيس..)

● وقفة عند آخر حديثٍ تناول حديث الأئمة الإثني عَشَر بشكلٍ واضح وصريح في كتاب سُليم بن قيس
(عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: دخلتُ على النبيّ "صلّى اللهُ عليه وآله" فإذا الحُسين بن عليّ "عليه السلام" على فَخِذه، وتفرَّس - رسول الله - في وجهه، وقبَّل بينَ عينيه وقال: (أنتَ سيّدٌ ابن سيّد، أنتَ إمامٌ ابنُ إمام أخو إمام، أبو أئمة، أنتَ حُجّة الله ابنُ حُجّة الله، وأبو حُجَج تسعة مِن صُلبك تاسعهم قائمهم)
لاحظتم كثرة الأحاديث التي تناولتْ هذا الموضوع.. وأنا أشرتُ إلى الأحاديث التي صرّحتْ بأسمائهم، بعددهم، بأوصافهم، بحُجّيتهم.. مثلما قُلت: أحاديثُ الأئمة الإثني عَشَر.. وإلّا فإنّ كتاب سُليم بن قيس كُلّ ما فيه حتّى ما يرتبطُ بظلامة الصدّيقة الطاهرة يدور حول هذا الموضوع.
الكتابُ يتحدّثُ عن القُربان الفاطمي، وما القربانُ الفاطميُّ إلّا بدايةُ مشروع القربان لامتداد إمامةِ الأئمة الإثني عَشَر.. كُلّ ذلك تأسيسٌ للمشروع المهدوي الأعظم عِبْر الحِفاظ على منهج الكتاب والعِترة.. ذلك هو مشروع القُربان، وذلكَ هو القُربان الفاطميُّ الذي كان صُورةً مُركّزةً ومُرسّخةً ومُختصرةً عن الذي جرى في الطفوف.
• كتابُ سُليم بن قيس هو أوّلُ كتابٍ وأعظمُ كتابٍ مِن كُتُبنا الأولى.. إنّه أبجدُ الشيعة.. هذا الكتاب أُلّف في عَصْر النصّ.. ومُرادي مِن عَصْر النصّ: أي عَصْر النصّ القُرآني وعَصْر النصّ المعصومي مِن حديث العِترة.
عَصْر النصّ يبدأ مِن أوّل لَحَظةٍ مِن بعثةِ نبيّنا "صلّى الله عليه وآله" وينتهي بوفاة السَمَري السفير الرابع سنة 329هـ. هذا هو عصر النصّ.

مِن كُلّ هذا التأريخ ما بأيدينا هو (كتابُ سليم) هو أوّل كتابٍ من عَصْر النصّ.. ولاحظتم وفْرةَ الحديثِ عن الأئمة الإثني عَشَر.. عن الحُجَجِ وعن القائم الموعود واحداً بعد واحد تاسعُهم قائمهم مِن وُلد الحُسين.. هذا هو ديننا وهذهِ هي أُصولنا.. وهذه بديهياتُ عقائدنا الواضحة والصريحة المُعبّقة بأنفاس عليّ وآل عليّ.

● وقفة عند أعظم كتاب وآخر كتابٍ بين أيدينا مِن عَصْر النصّ وهو [الكافي الشريف]

علماً أنّ أحد مصادر كتاب [الكافي الشريف] هو كتاب سُليم بن قيس.. وهذا يدلّكَ على عَظَمةِ هذا الكتاب.. فقد نقَل الكُليني عن كتاب سُليم بن قيس.. لأنّ الكُليني جَمَع أهمّ مَصادر الحديث عند الشيعة حينما جمع كتاب الكافي في مُدّة عشرين سنة.. وكان مِمّن ساعدوه هو الشيخ النعماني صاحب كتاب الغَيبة.

علماً أنّ قيمة كتاب الكافي لا تعود للكُليني، وإنّما قيمةُ الكتاب تعود إلى حديث أهل البيت "صلواتُ الله عليهم".

نحن حين نُجلُّ كتاب الكافي، لا لأنّ الكُليني جمعه - مع جلالةِ قدر الشيخ الكليني - ولكنَّ جلالةَ قدْر الكافي هي لأنّ الكافي يجمعُ بين سُطوره كلام مُحمّدٍ وآل مُحمّد.

توفيقٌ عظيم لشيخنا الكُليني أن جمع هذا الكتاب.

• في الجزء الأوّل مِن الكافي الشريف.. صفحة 600 هناك بابٌ عنوانهُ: ما جاء في الإثني عشر والنصّ عليهم.

ذكر الكُليني تحتَ هذا العُنوان في هذا الباب مَجموعةً مِن الأحاديث يصِلُ عَدَدُها إلى 20 حديث.

وأحاديثُ الأئمة الإثني عشر إمّا أن تتكلّم بهذا المضمون: أنّ هناك أئمّةً، أو حُجَجاً، أو خُلفاء بعْد رسول الله عدَدُهم إثنا عشر.. وهُناك أحاديث ذكرتْ أسماءهم واحداً بعد واحد.. وهُناك أحاديث تَحدّثتْ عن أوصافهم وألقابهم وعن جانبٍ من شُؤوناتهم.

مِن هنا قال مَن قال أنّ الشيخ الكُليني هو أوّل مَن جمَع أحاديث الأئمة الإثني عشر ووضعها في كتاب الكافي وهذه الأحاديث كانت محصورةً بهذا العدد.. ولِذلك الكُتب التي أُلّفتْ بعد الكُليني ذكرتْ أعداداً أُخرى جديدةً تتحدّث في نفس المضمون، في مضمونِ أحاديث الأئمة الإثني عشر الذي ذكره الكُليني في كتابه الكافي.. وكأنّهم يقولون هذهِ الأحاديث مُفتراة، موضوعة..!

وباعتبار أنّ الشيخ الكُليني مِن علماء القَرن الثالث والقَرن الرابع، مِن هُنا قالوا أنّ أحاديث الأئمة الإثني عشر وُضِعتْ في القرن الثالث وفي القرن الرابع..!

وهذا الكلام - إذا أردتُ أن أحمِله على أحسن المحامل - فهو كلام جاهلٍ بحديثِ أهل البيت، وكلامُ جاهلٍ بتأريخ حديث أهل البيت.

• نَحنُ في مُؤسّستنا الدينيّة الشيعيّة الرسميّة في خيبةٍ واضحة.. هناك اهتمامٌ بعلم الرجال، والذي لا يُعطي أيّ علمٍ عن حديث أهل البيت.. وهُناك جهلٌ بتأريخ حديث أهل البيت الذي ينفعُنا كثيراً في معرفة قيمة الأحاديث.

علم الرجال يتحدّث عن الرواة.. أمّا إذا عرفنا تأريخ حديث أهل البيت فإنّنا سنعرفُ كيف وصل الحديثُ إلينا بأيّ طريقة وبأيّ أسلوب.. (ولا أعني هنا بالطريقة يعني فلان الراوي ضعيف، وذاك موثوق، وأمثال ذلك..) فهذه المعلومات لا يملكُ أحدٌ دليلاً عليها.

• **على سبيل المثال**: الكثير مِن وكلاء السيّد الخوئي كانوا فاسدين وكانوا بعثيين، وكانوا مِن رجال الأمن، وهَذهِ القضيّةُ يعرفُها جميعُ الذين لهم اطّلاع على أحوال وكلاء السيّد الخوئي. ورُغم ذلك السيّد الخوئي أعطاهم وكالة لاستلام الأموال، ولِتبليغ الدين ووو.. إلخ..!

فالسيّد الخوئي لم يكنْ يعرف وكلاءهُ الذين عاشوا في عَصره.. فكيف لهُ أن يعرف أحوال رواة ماتوا قبل قرون وقرون..؟!

أمّا لو عرفنا تأريخ حديث أهل البيت وكيف وصل إلينا، فإنّ معرفتنا بتأريخ حديث أهل البيت تُعطينا صُورةً واضحةً تجعلُنا نثِقُ بهذا الحديث مِن دون أن نحتاج لِمثل هذه التُرّهات ولِمثل هذه السخافات التي سُمّيتْ بِعلم الرجال..!

● الذين لا خبرةَ لهم بحديثِ أهل البيت يتصوّرون أنّ الشيخ الكُليني تحدّث عن الأئمة الإثني عشر فقط في هذا الباب وبهذا العدد المحدود مِن الروايات في الجزء الأوّل مِن الكافي.. وهذا جهلٌ بكتاب الكافي الشريف.. وأنا أقول لهؤلاء: أين أنتم عن هذه الأبواب:

• في صفحة 317 : باب ما نصّ الله عزّ وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً.. وهو بابٌ مُفصّل.. هذا الباب يبدأ صفحة 317 ثُمّ تبدأ الأبواب الفرعيّة:

باب الإشارة والنصّ على أمير المؤمنين وهكذا يستمر إلى أن نصِل إلى شؤون الغَيبة.. عدد الأحاديث من 317 إلى صفحة 385 هو: 162 حديث في النصّ على الأئمةِ واحداً واحداً..! هناك 20 حديث، أحاديث تحدّثتْ بهذا اللّفظ (**أئمة إثنا عشر**).. ولكن هنا 162 في باب النصّ على الأئمةِ واحداً واحداً.

• ثُمّ يأتينا باب آخر: أبواب التأريخ: (باب مَولد النبيّ ووفاته..) وهي الأحاديث التي عن النبيّ "صلّى اللهُ عليه وآله" ثُمّ بعد ذلك ينتقلُ الحديث عن المعصومين "صلواتُ الله عليهم".. (باب مولد أمير المؤمنين - باب مولد الزهراء فاطمة... إلى مولد إمامنا الحجّة بن الحسن تحت عنوان: باب مولد الصاحب)

وفي باب مولد الصاحب ذَكَر 31 رواية عن ولادة إمام زماننا.

مجموع الروايات في هذهِ الأبواب: 216 رواية.

إذا ما جمعنا الأحاديث التي وردتْ في أن الأئمة إثني عشر: عشرون حديث، وأضفنا إليها 162 حديث وهي الأحاديث التي وردتْ في النصّ على الأئمة الإثني عشر واحداً واحداً.. وأضفنا إليها 216 حديث في الأبواب التي وردتْ في مَواليد المَعصومين الأربعةَ عشر.. فإنّ مجموع الأحاديث سيكون **378** رواية كلّها تتناول حديث الأئمة الإثني عشر إجمالاً وتفصيلاً..!

هذا مَع مُلاحظة أنّ الشيخ الكُليني قال في مُقدّمة كتاب الكافي وهو يتحدّث عن شخصٍ عَزيز مُحترم عنده، فيُخاطبه ويقول: (**وقلتَ: إنّك تُحبُّ أن يكونَ عندكَ كتابٌ كافٍ يُجمَعُ فيهِ من جميع فنون عِلْم الدين ما يكتفي به المُتعلّم، ويرجع إليه المُسترشد، ويأخذ منه مَن يُريد عِلْم الدين والعمل بهِ بالآثار الصحيحةِ عن الصادقين "عليهم السلام"..**) - إلى أن يقول -:

(**ووسّعْنا قليلاً كتابَ الحُجّة وإنْ لم نُكمِلهُ على استحقاقه؛ لأنّا كرِهْنا أن نبخسَ حُظوظَهُ كلّها. وأرجو أن يُسهّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ إمضاءَ ما قدَّمنا مِن النيّة،**

إنْ تأخَّر الأجل صنَّفنا كتاباً أوسعَ وأكملَ منه نُوفّيه حُقوقَهُ كلّها إنْ شاءَ اللهُ تعالى..).

فمَع كُلّ هذا العَدد الضَخم مِن الأحاديث الذي ذَكَرهُ الكليني بخُصوص الأئمة الإثني عشر بنحو الإجمال أو بنحو التفصيل، ومع ذلك هُو يعتذر ويقول أنّهُ لم يُعطِ هذا الكتاب وهذا الباب لم يُعطِ لهُ استحقاقاً..! فهؤلاء الذين يَقولون أنّ الكُليني لم يذكرْ بخُصوص الأئمة الإثني عشر إلّا عدداً محدوداً يصل إلى 20 حديث هُم إمّا يُحرّفون الحقائق، وإمّا أنّهم جُهّال.. والواقع يقول أنّهم جهّال.

● لا أريد أن أطرح ما يُقال بخُصوص فضْل كتاب الكافي، ولا أريد أن أُورد ما يُقال مِن أنّ هذا الكتاب عُرِض على الإمام الحجّة "صلواتُ الله عليه" وقال بأنّ الكافي كافٍ لشيعتنا.. وليس مُستبعداً ذلك، فقد جاء مذكوراً في كُتب بعض علماء الشيعة.

لا أريد أن أقفَ عند هذهِ الكلمة، ولكنّي أقول:

بغَضّ النظر هل قال الإمام هذه الكلمة عن الكافي أم لم يقلها.. فالكافي حقيقةً هو كافٍ للشيعة.. على الأقل مِن وجهة نظري.

فبحسب تتبّعي في كُتب الحديث وفي كُتب العلماء فإنّ كتاباً ككتاب الكافي يشتملُ على مُميزات وخصائص تفتقرُ إليها كُتُب سائر المُحدّثين مِمّن قاربوهُ في العَصر وجاءوا مِن بعده.. فكتاب الكافي يتميّزُ بشكلٍ واضح على كُتب الشيخ الصدوق.. مثلما أنّ كُتب الشيخ الصدوق تتميّز بشكلٍ واضح وتتقدّم على كُتب الشيخ الطوسي.. وأنا أتحدّث هُنا عن كُتب حديث أهل البيت وليس كُلّ الكُتب.

ولا أريدُ أن أتناول أيضاً مَا يذهبُ إليه بعْض العُلماء استنتاجاً مِن عندهم مِن أنّ ما جاء في كتاب الكافي مِن روايات وأحاديث تبدأ بعبارة "**قال العالم**" أنّ هذه الأحاديث ينقلها الشيخ الكليني عن إمام زماننا إمّا بشكلٍ مُباشر أو عن طريق السُفراء الخاصّين. وهُناك حديثٌ وكلام من أنّ الشيخ الكليني كان كلّما يُؤلّف مِقداراً من كتابه كان يعرضهُ على النوّاب.. وأقول: لا يُوجد دليل على ذلك، وإنّما هي استنتاجات مِن علماء الشيعة.

لا أريد أن أقف عند هذه التفاصيل.. ولكنّني أقول:

الكتاب يشهدُ لنفسهِ بنفسهِ.. فكتابُ الكافي كتابٌ مُتكامل.. كتابٌ ألمح فيه معالم التوفيق التي حظي بها التوفيق وهو يجمعُ حديث أهل البيت في هذا الكتاب الشريف.

عِلماً أنّنا حِين نتحدّثُ عن التوفيق فهذا لا يعني أنّ الإنسان المُوفّق يكون معصوماً.. المُراد مِن التوفيق هو أن تتهيّأ للمرءِ أسبابُ خيرٍ وأسبابُ فضلٍ تُعينهُ أن يُنجز عمله على أحسن ما يُمكن بالنسبة لزمانه ومكانه ومؤهّلاته ومواهبه.. ولا يعني أنّه سيُنجز عَمَلاً بالكمال المُطلق.. لأنّ التوفيق عطاءٌ وفيضٌ نسبيٌ يُفاض على الذي يستحقّه بحسب حالهِ وشأنه وخُصوصياته.. فحينما أتحدّثُ عن عَلائم التوفيق إنّني أتحدّث عن علائم التوفيق بهذا المستوى وبهذا الفَهْم.